الفصل الثالث

حتمية المصادفة في البناء السردي قراءة في رواية العريضة

الفصل الثالث

حتمية المصادفة في البناء السرديقراءة في رواية العريضة

تبنى رواية العريضة[1] للروائية القطرية نورا آل سعد على رؤية فنية ذات امتداد موضوعي ينتمي إلى الواقعية النقدية الجديدة كمذهب أدبي وتيار فكري يؤمن بالنظر المنطقي الذي لا لبس فيه ولا إبهام مع اعتماد الوضوح والالتزام تجاه قضايا الواقع.

ولعل حتمية المصادفة التي تستدعي حضور المفاجأة هي أكثر الوسائل إسهاما في تدعيم الرؤية الواقعية للصراع الطبقي في الرواية كانعكاس لوعي الإنسان بنفسه وبمسيرة مجتمعه.

وتقع شخصيات الرواية الرئيسة والثانوية المركزية منها والمساندة (عائشة وجابر بو سالم وشريفة وهدى ومنيرة وصالح وحسن وغيرهم) تحت وطأة الواقع الذي يسيرها بقدرية تجعلها خاضعة لحتمية موضوعية ومصادفات ليست في الحسبان تسهم في قلب المسارات وتحويرها وربما تصادمها وتعقدها في خضم أتون حياتي معيش يرسم لها خطواتها ويحدد لها تطلعاتها مكانا وزمانا.

وتبزغ العريضة كخيط رابط بين أجزاء الرواية بأحداثها وشخصياتها وزمانها ومكانها وكثيمة محملة ببنود تحقق تطلعات الشخصيات الضعيفة والمغلوبة باتجاه حياة جديدة، هذا من جانب ومن جانب مضاد تكون هذه العريضة مدعاة للقمع والرفض والمقاومة عند الشخصيات المتسلطة والنافذة والقوية.

ولفكرة العريضة صلة وثقى بشخصية المثقف الثوري اللامنتمي صالح بن أحمد الذي حمل تطلعات متحررة وثورية لكن تصادمه مع البرجوازية الانتهازية متمثلة بشخصية جابر بن سالم هو الذي سيصادر منه حلمين حلم الثورة وحلم الظفر بعائشة فتاة أحلامه.. في دلالة على أن النظام البرجوازي قادر على غلبة الفكر التحرري وأن لا سبيل للتصالح بينهما.

وتؤدي المصادفات التي تجمع بين صالح وعائشة دورا مهما في تدعيم حقيقة أن الصدفة من الممكن أن تقلب المسلمات وتخلخل الثوابت وأن لا مستحيل أمام التطلعات المشروعة في تغيير المجتمع وحل مشاكله ومعالجة همومه.

وقد قصدت الرواية إلى ذلك قصدا من خلال اعتماد شكل فني يقوم على تقسيم الرواية إلى أجزاء كلعبة أسلوبية شكلية الغاية منها كسر تتابعية الأحداث باعتماد

---

(1)العريضة رواية، نورا آل سعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة أولى، 2010.نسخة بصيغة pdf

تداخل الأزمنة داخل الرواية ليكون الزمن الماضي متداخلا بالحاضر ومن ذلك مثلا أن اللحظة الراهنة في لقاء عائشة بصالح في الساحة المفتوحة بالقرب من الجامعة الأمريكية ببيروت تمتد إلى ماض بعيد حين كانت عائشة فتاة أحلامه فتتداعى في داخلها أفكار على شكل مونولوج داخلي" **هل رآها صالح ما كان أقربها منه وقد نظر إلى ناحيتها الم يتعرف عليها هل تغيرت إلى هذا الحد هل كان مستغرقا في الحديث حتى انه لم يمنحها نصف نظرة لقد وقفت عائشة شبه جامدة وكان بإمكانه أن يستدرك يلتفت إليها على سبيل الاستطلاع والشك كيف لم يلحظها؟ لم تكن تبدو كطالبة بالتأكيد**" (1)

وهذا ما أضفى قوة على البناء السردي ولو أن الكاتبة اعتمدت أسلوب التتابع حيث زمن الحدث هو زمن السرد لما كان هذا السرد إلا متشتتا ومتفتتا، ولا غرو أن التعضيد بالوثائق والتقارير في حواشي المتن الروائي قد أدى إلى توكيد أن" الأدب الذي هو في جوهره نشاط فكري يسند.. الطبقة أو الطبقات التي يعبر بشكل من الأشكال الفنية عن مواقعها الأيديولوجية ونظرتها السياسية إزاء النظام السائد في ذلك المجتمع"(2)

وتبنى أحداث الرواية على وفق منظور فني فيه الراوي كلي العلم مقتحم يستبطن دواخل الشخصية كاشفا عن تداعيات وعيها مهيمنا على السرد بضمير الغائب ويكون الزمن استرجاعيا لأحداث وقعت في زمن سابق على زمن السرد.

ولو كانت عائشة شخصية ايجابية لتركت المؤلفة لها أن تسرد الأحداث بضمير الأنا لكن سلبية عائشة ورضوخها المستسلم للواقع جعلها أضعف من أن تسرد بنفسها الأمر الذي استدعى راويا موضوعيا بضمير الشخص الثالث ليقوم بالسرد نيابة عنها فذلك هو الأنسب للتعبير عن هذا النمط من الشخصيات.

والأصل في الرواية أن تكون على فصول لا أجزاء على اعتبار" أن أهم شيء في العمل الفني هو وجوب توفر نقطة مركزية فيه أي لا بد من أن يكون هناك مكان ما تلتقي فيه أو تصدر عنه جميع الأشعة"(3)

إلا إن رواية العريضة جاءت على أربعة أجزاء فبدت كأنها لوحة تتكامل بهذه الأجزاء أو كأنها أربع روايات كل جزء هو رواية بحد ذاتها لها بداية ونهاية وحبكة خاصة وما يجمع الأجزاء مع بعضها هو الخيط الموضوعي المتمثل بالعريضة التي

---

(1)م.ن/ 23

(2)في أدب البروليتاريا وقضايا واقعية أخرى، عبد المطلب صالح، دار المعارف، بغداد، طبعة أولى، 1978/ 26

(3)نقلا عن تولستوي ينظر: فن كتابة الرواية، ديان دوات فاير، ترجمة د. عبد الستار جواد مراجعة عبد الوهاب الوكيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988/ 79

تعكس هموم مجتمع تكابد فيه الشخصيات عموما والنسائية تحديدا تحديات الواقع اجتماعيا ونفسيا فتكون العريضة حاضرة في استرجاع عائشة لقصتها أما وزوجة كما تكون حاضرة في قصة شريفة الأم ومنيرة الأخت وهدى بنت الأخت كأربعة أجيال نسوية ظلت العريضة بالنسبة لها مشروعا مطروحا لحياة حرة وجديدة.

ولعل التركيز على توظيف عنصر المصادفة أهم اشتغال سردي حقق للبناء الروائي الديمومة وساعده على تصاعد الأحداث لتتعقد صراعات شخصياتها وتتأزم ومن ثم يتم الانفراج الذي به تبلغ الرواية خاتمتها بشكل عفوي منساب بلا تكلف أو افتعال تقول ديان دوات فاير" أن الرواية في رأيي يجب أن تكون منسابة منذ البداية مثل رحلة من الاكتشاف مليئة بالمفاجآت فإذا كنت وأنت المؤلف تندهش باستمرار فان هناك احتمالا أكثر بان يكون القارئ كذلك"[1]

وعلى الرغم من أن الرواية اعتمدت البناء التجزيئي إلا إنها استطاعت أن تعكس التجييل النسوي على وفق انتهاج واقعي نقدي جديد عالج قضايا موضوعية ذات صلة بالمرأة تتعلق بالانتماء الطبقي والتطلع الثوري والعمل الحزبي والبرجوازية الوطنية والوعي الاقتصادي والاجتماعي.

وهذا ما جعل الرواية موضع الرصد علامة من علامات تطور الرواية القطرية عبر سعي حثيث نحو الارتقاء بالوعي لأجل تغيير المجتمع وتطويره وهذا التوجه قد أفرز جملة نتائج تم تحصيلها في نهاية الرواية بمنطقية وموضوعية.

وما كان للرواية أن تؤدي هذا الدور لولا أن المصادفة كانت هي العنصر المراوغ والعمود الفقري الذي منح الرواية الحيوية والديمومة وحقق لها التناسق والتشويق والإثارة بعيدا عن الفوضوية والتعميمية يقول بوريس بورسوف:" إن الكاتب يصور إنسانا.. يتعرض مصيره المشروط تاريخيا بكافة أنواع المصادفات وهذه المصادفات هي التي يضعها الكاتب في المقدمة ليتوصل عبرها إلى ما هو ضروري"[2]

وقد حقق خضوع الشخصيات للمصادفة دورا كبيرا في اصطدام تطلعاتها بصخرة الواقع سواء في مكوثها في ظل مجتمع محافظ أو في انتقالها للعيش في المجتمع الغربي لتقع تلك الشخصيات ولاسيما النسائية منها فريسة التضاد الفكري بين عالم الشرق بذكوريته وهيمنته وعالم الغرب بتحرره وانفلاته، فتتعرض لمزيد من الضغوطات النفسية التي تدفعها إلى المعاناة قهرا ومكابدة ورضوخا لحتمية الواقع

---

(1)فن كتابة الرواية، ديان دوات فاير، ترجمة د. عبد الستار جواد، مراجعة عبد الوهاب الوكيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988/ 31

(2)الواقعية اليوم وأبدا، بوريس بورسوف، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974/ 49.

المعيش وقد جمعها هم واحد هو فقدان الثقة في الرضوخ لسلطة المجتمع الذكوري ممثلا بالبيت والزوج والشارع والعمل.

وحمل الجزء الأول عنوان (تكاذيب) بعتبة استهلالية هي مقطع غنائي لفيروز يعكس ما ستفضي إليه شخصيات الرواية من مكابدة كونها تحمل في دواخلها تطلعات لا تقوى على البوح بها علنا وقد كشف السرد الموضوعي عن تلك الدواخل ورسم عوالم الشخصيات السرية وبمنظور موضوعي مقتحم ومستبطن كشف عن وعي تلك الشخصيات الباطني ومن ذلك هذا المونولوج" **ماذا هناك لكي يتم ترتيبه لا تعلم عائشة كيف يفكر بو سالم المدعاسي ولكنها توقن بأنه يعرف ما يفعله ويعرف أمورا كثيرة لا تعرفها"**[1] ولعل هذا التكنيك الفني هو الذي منح الرواية المتانة الفنية وأعطاها التماسك الدراماتيكي.

وتخضع عائشة للقهر المجتمعي كفتاة وزوجة ووالدة وتنفذ الأوامر والقرارات مسلمة طائعة وهي التي لا تملك إزاء زوجها جابر أو ولدها أحمد أية سلطة" **فهو تقريبا يصنع المستقبل وهو قادر على إسعادها وإرضائها الم يجعل النساء يحسدونها الم يمنحها كل ما تريد أي امرأة ؟ أي زواج يفكر فيه احمد وهو يأخذ مصروفا من والده؟ ولماذا لا يكمل دراستهما الداعي للتعجل؟"**[2]

وتتصاعد حبكة الرواية بمشهد اجتياز عائشة لحاجز أمني اضطرت إليه عنوة وهي تحاول اختراق الحرم الجامعي باحثة عن ابنها أحمد" **اختلطت الآن بالجمع وصاروا كتلة متحركة وهي في وسطهم ضائعة ومختطفة وفي أقرب منعطف انزلقت وخرجت من تلك الكتلة والتصقت بالجدار وتركتهم يمضون"** [3]

وتتعالى دراماتيكية الرواية مشوبة بالتوجس والخوف والخجل وفي خضم هذه الدرامية المشهدية تبزغ شخصية صالح بن احمد لتزداد الاحتدامات النفسية لدى عائشة وتتوالى المصادفات التي يرسمها القدر أمامها مسترجعة مصادفات مرت بها بلقائها الأول بصالح حين كانت طفلة اذ تطول لحظة اللقاء بصالح بأفعال مضارعة (أن تلوذ/ أن تشيح/ تستدير/ تغمض عينيها/ تسترق/ يشير/ تتحرك/ يصدر)[4]، ما يمنح المشهد استمرارية وتزامنية في ظل فعلية مضارعة ومصدرية صريحة، وتسترجع عائشة في مخيلتها ذكريات جمعتها بصالح حين كانت تلهو مع صويحباتها وشريط ذكريات أخرى عن دراسته وزواجه وكيف أنها قبلت بحتمية الدور الذي رسمه لها واقعها" **شهيدة غير مرئية كما هي الآن..وترى عائشة بان الحياة مقدورة**

---

(1)العريضة رواية/ 10

(2)م.ن/ 12

(3)م.ن/ 13

(4)ينظر: م.ن/ 14

ومرتبة تماما ومصنفة"[1] وتتحرك خيوط السرد باتجاه المكاشفة النفسية لتقر عائشة بالرضوخ والاستسلام لتلك الحتمية الواقعية.

وما هذا التخبط الشعوري إلا تعبير عن حتمية الصدفة التي جعلتها تصطدم بصالح وهنا يتدخل الراوي ليوضح أسباب ذلك الشعور بهذا الوصف" **هو صالح بن احمد بلحمه وشحمه لم تتغير ملامحه كثيرا بل لم يتغير أبدا وخطت بضع شعيرات بيض صدغيه مبكرا وامتلأ جسمه قليلا كان يلبس بنطالا اسود وقميصا ابيض ويتحدث كما كان يتحدث من عشرين سنة خلت يطوح بيديه معا في الهواء كأنه يستدعي الأزمنة الماضية وأرواح العظماء كأنه ينزل جبالا ويستخرج أهوالا من القاع"** [2]

ولذلك قررت حين رأت صالحا أن تكتم انفعالها وإلا تظهر حقيقة مشاعرها فلم تكترث لوجوده بل استسلمت وفي هذا تلاق موضوعي مع حتمية اجتماعية تمثلت في أحداث مرت بها الدوحة إذ بان أحداث عام 1956ومظاهرات 17 ابريل 1963 حول تأييد الوحدة بين مصر وسوريا إذ بدا التضاد بين الجماهير وتطلعاتها مقابلا للتضاد بين عائشة وصالح بن أحمد.

ومثلما اختفت تلك الأحداث وما عاد لها أي صدى كذلك اختفى صالح فجأة ليختفي معه الحلم وتكون الحتمية الواقعية هي الماثلة بزواج عائشة من جابر بن سالم.

وإذا كانت أحداث الجزء الأول تتمحور حول عائشة فإن دورها في الأجزاء الأخرى سيضمحل شيئا فشيئا لاسيما في الجزء الرابع من الرواية، الأمر الذي يستوجب تدخل قارئ يفك الاشتباكات ويعقد الترابطات ويجمع الشتات بما يحقق له ولوج خاتمة الرواية وهذا الفعل مقصود وهو مبني على تخطيط فإذا كان الجزء الأول عبارة عن سرد موضوعي فانه في الجزء الأخير تحول إلى سرد خارجي.

وإذا كانت الحتمية الواقعية قد خذلت تطلعات المجموع وأحلامهم فإنها أيضا خذلت عائشة التي سيشكل انتقالها إلى بريطانيا مزيدا من التغريب الفكري والنفسي" **فلم يتبق من صالح في خيالها في نهاية المطاف إلا عنفوان الحب الأول وجملة من الذكريات الحقيقية والمصطنعة في أحلام يقظتها في حياة لم تعشها بالفعل ولن تفعل"** [3]

ويظل وعيها مشدودا إلى صالح وسحر اللحظة طاغ عليها ثم تعود بالزمن إلى لحظة زواجها وما عانته في سبيل نسيانه واجدة في الزواج تعويضا عنه ولذلك

---

(1)م.ن/ 16

(2)م.ن/ 14-15

(3)م.ن/ 21

شرعت تبني فلسفة خاصة للتحرر من قبضة حبه عليها" **وعرفت بان مقاومتها ستنتهي باستسلام مذل في معركة ستتكرر في كل يوم في حياتها في بيت زوجها"** (1)

لكنها تظل في داخلها تصنع وجودها بنفسها وتحرك كل شيء من حولها وهي ثابتة في مكانها" **لن يستطيع الآخرون لمس قلبها ولا اعتقال تفكيرها إذا تعذر عليهم أن يصلوا إليها وهي تنسحب إلى أقصى أعماق داخلها المستور عنهم لقد صنعت عائشة عائشة أخرى كان وجودها الآخر يمنع عالمها من الانهيار"** (2)

ولم يكن هذا إلا مجرد طيف خيال غير واقعي يسعى إلى فعل الضد وهذا ما دفعها إلى أن تتماهى مع ما حولها بناءً على وعي جمعي وسلوك غيري فتشعر عندذاك ببؤسها واستسلامها حتى أن النسوة اللواتي كن حولها يثرثرن كانت تقابلهن بالصمت ويكشف الراوي المراقب أن سبب ذلك هو أنها" **كانت تحتاج كثيرا من الحب والعاطفة النقية فحسب"** (3)

وما كان استسلامها وتنكرها لحبها إلا عاملا سلبيا منعها من استعادة حبها لصالح بمعنى أنها ضحت بحبها في سبيل غيرها فكبتت مشاعرها ولم تعلن عنها إلا بلحظات خاصة" **أن الفرد قد يضحي بالكثير من مخزونه الإنساني لكي يحتفظ في النهاية بصورة مثالية عن نفسه وسط المجموع النسقي المتماثل"** (4)

ومما زاد في تعاستها زوجها المراوغ والمزواج الخائن وهو يستفز مشاعرها ويحاول إظهار غيرتها ولا تخلو الاسترجاعات مقاطع فلسفية كثيرة يقحمها الراوي ليكشف لنا كيف واجهت عائشة واقعها ممثلا بزوجها الذي هو صورة لشرقية الرجل العربي كما في هذا المقطع" **يخطئ الرجال في المجتمعات الأبوية عندما يطمئنون إلى حريمهم ويرخون الحبل على الغارب بيد أنهم لا يفعلون ذلك أنهم لا يركنون إلى الثقة العمياء في النساء لان الرجال أنفسهم يعيشون حياة مزدوجة ويستخدمون الأقنعة المستعارة التي يحبذ المجتمع سيرتها..ويحرس أسرارها وطقوسها "** (5)

وهذا ما يجعل عائشة وجابر بن سالم على الشاكلة ذاتها من الخضوع للحتمية الغيرية خوفا من النبذ والطرد وهي لما حاولت طرد خوفها لحظة لقائها بصالح قررت ألا تواجه الواقع وهذا ما اعادها إلى ذكريات الرضوخ داخل بيت الزوجية حين كانت

---

(1)م.ن/ 24
(2)م.ن/ 25
(3)م.ن/ 28
(4)م.ن/ 31
(5)م.ن/ 32

عائشة تحت رحمة حماتها وأسيرة مملوكة قانعة بدورها الذي رسمه لها المجتمع وليظل" **صالح الحلم الذي بقي على مسافة ثابتة بين الإمكان والمستحيل**" (1)

وتتوزع الاسترجاعات الزمانية لمراحل حياة عائشة بين مكانين أثيرين هما قطر ولندن وتظل المصادفة وحدها التي تجمع بين الأزمنة والأمكنة في ظل مجتمع ازدواجي يرى أن من السهل استجلاء صورة المرأة في الثقافة العربية أو استجلاء مفهوم الأنوثة عند المرأة، وهذا ما يوقع عائشة في مفترق طرق فيكون عليها أن تتصالح مع وعيها الجمعي ووعيها الفردي الذاتي مع الأنا فتجد راحتها في الانخراط في العمل بالبرنامج الاجتماعي النسوي الدبلوماسي.

وبالمصادفة تظهر شخصية ميثة صديقة لعائشة لتمثل وجها سلبيا للتصادم بين الإخلاص والخيانة" **الذين يدعون العفة نهارا ويتصرفون بجنون ليلا ولم تدرك عائشة بحسن نيتها وسذاجتها انذاك ان ميثة قد قررت في نقطة ما ان تنزلق الى ذلك المصير نفسه وتحيا الحياة بوجهين**" (2)

وبالمصادفة وحدها يقع احمد ابن عائشة وابن الدبلوماسي المهم في حب فتاة يكون أبوها صالح بن احمد المعارض السياسي مما يحمل على تصعيد الحبكة الروائية فيتبدد الحلم مرة أخرى ويتحول إلى كره ويتخذ الخجل شكل التشدد ومن ثم تعود عائشة أدراجها إلى قطر.

وحمل الجزء الثاني من الرواية عنوانا محرضا وإيهاميا هو (كأنه النشيج) وباستهلال شعري غنائي تبزغ المصادفات لتلعب دورا مهما في ذكريات عائشة عن مرحلة الطفولة في بيت عائلتها.

ولعل أهم تلك المصادفات ما حصل لحظة تعرفها على صالح بالقرب من البحر، وهو ما ترك أثرا لا يمحى في ذاكرتها..وتمرر عبر الاسترجاعات الزمنية وقائع مرت بها دولة قطر إذ بان الخمسينيات معززة بتوثيقات مستلة أغلبها من أطروحة دكتوراه لموزة الجابر عنوانها (التطور الاقتصادي والاجتماعي في قطر 1930- 1973)

ويكون في توظف الشخصيات الثانوية التي لا تظهر في الرواية إلا في جزء واحد تأكيد واضح لحتمية المصادفة في الرواية ومن ذلك توظيف شخصية جبر المرسال الذي يرسله صالح خلسة لعائشة وشخصية توتشي ومسز ماديسون ومستر هانز الهولندي في الجزء الرابع وغيرهم.

وحمل الجزء الثالث عنوان (الدكتورة منيرة) في حين كان عنوان الجزء الرابع (الأعراف) مستهلا بمقطع من ابن عربي عن أصحاب الأعراف" **وكلها ترجع إلى**

---

(1)م.ن/ 35

(2)م.ن/ 53

معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم"[1] ثم بمتن سردي موضوعي يسترجع قصة منيرة في دراستها وعملها وعلاقتها بعائشة وحبها ليوسف بن عمران وبراو كلي العلم مقتحم يستبطن الداخل" **عندما تحاول منيرة أن تسأل نفسها هل كان ذلك حقا؟ كانت تشعر بأنها تحمل تلك العلاقة اكبر مما تطيق كانت علاقة تقتلها وتهدم عزيمتها على الحياة لم يعد يوسف بمرور الوقت يعني لها أي شيء"** [2]

وتجعل المصادفة الدكتورة منيرة التي هي أخت عائشة والأستاذة الجامعية الرومانسية والماركسية تتمتع بروح متحررة فتتمرد على لبس النقاب مثلا[3] كما تكون أفكارها صريحة كقولها:" **تحتاج المرأة إلى العاطفة المشبوبة لكي تحس بأنها مرغوبة وإلا فإنها لن تشعر بالأمان لن تشعر بنفسها وأنوثتها ولن تشعر بالحياة من حولها"**[4]

ومثلما لعبت المصادفة دورها في رحلة العذاب الرومانسي للشاعر القطري محمد عبد الوهاب الفيحاني مع محبوبته مي كذلك تكون المصادفة سببا في فشل علاقة منيرة بيوسف، ولا يحصل التحول في حياتها من العلمانية والليبرالية إلى النزوع الديني إلا بسبب المصادفة التي تجعلها أيضا تتأمل وقائع وثورات كاندلاع الثورة الإسلامية الإيرانية والغزو السوفيتي لأفغانستان وسقوط الاتحاد السوفيتي عاملة على" **التحصن وراء متاريس الثابت والمطلق والمتعالي..وتماهت مع خطاب السلفيين بحديته وطهرانيته وقطعيته** "[5] ولكنها سرعان ما تركت ذلك وعادت إلى إيديولوجيتها العلمانية.

وعلى شاكلة هذا التذبذب الفكري نجد أن أولادها يقعون تحت طائلة المصادفة فيتخذون اتجاهات مغايرة..

وتبزغ شخصيات ثانوية جديدة منها شخصية هدى بنت منيرة لتخضع للعبة المصادفة في علاقتها بجون الأمريكي الذي يدرس الدراما والشعر واللاهوت، ويكون في نقاشاتهما بطريقة كتابة الايميلات[6] عن تاريخ الحب في الشرق والأندلس[7] وفلسفة هايدجر ما يقودهما إلى الزواج كحتمية واقعية وجهت الأحداث ورسمت

---

(1)م.ن/ 276
(2)م.ن/ 169
(3)ينظر: م.ن/ 173
(4)م.ن/ 179
(5)م.ن/ 229
(6)م.ن/ 344-346
(7)م.ن/ 331

للشخصيات مصائرها متخذة مسلكا رومانسيا روحيا عن الحب والحياة وأرسطو وفلسفته وما سمته الكاتبة أشواق الانخلاع[1]

ولولا المصادفة ما كان لجون أن يندمج بالصحراء فيشعر بضآلته وبأنه كحبة رمل في قطر وصارت الصحراء تخيفه وتبتلعه وطاردته الكوابيس فاعتزل الناس وترك المركز الذي أسسه للدراسات ورجال الأعمال لتكون نهايته الموت بضربة شمس في سماء الدوحة..

وبهذه الحتمية الواقعية ينتهي جون الذي كان بإمكانه أن يغنم الكثير مستغلا موقعه وعلاقاته لكن عدم بلوغه الرضا والقناعة هو الذي أسلمه للمصادفة لتؤدي دورها في إشعاره بالنقص والخيبة والخذلان فتتصادم أحلامه بالواقع وان ما بين ماض مضى وحاضر واه ومكرر تتكشف خاتمة الرواية معلنة عن مقتها لحتمية المصادفة التي تفضي إلى التكرار وهو ما" **لا يلد شيئا آخر ولا تنجم عنه مواجهة أو تصعيد لا يتوقع بعده انحراف أو تغيير أو نهاية** " [2]

ولان الدكتورة منيرة أيقنت أن للمصادفة دورها في صدم مثالية الحب وسريته لذلك استسلمت للتقاعد وما عادت تميل إلى متابعة أبحاثها المتعثرة[3]

وبالعود على ما تقدم تتبلور بنائية رواية العريضة التي اتخذت من حتمية المصادفة محورا تدور حوله الشخصيات بسلبيها وايجابيها وتتوجه به الأحداث بزمانها ومكانها وما كان لهذه المصائر أن تكون لولا رؤية واقعية خضعت لها بتوان وسلمت لها بطواعية.

---

(1)ينظر: م.ن/ 352

(2)م.ن/ 372

(3)ينظر: م.ن/ 371.